Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

[الطويل]

ومِنْ عَجَبٍ أنَّ النسيمَ إذا سَرَى سُحيراً بِعَرْفِ البانِ والرَّنْدِ والآسِ
يعيدُ عَلَى سَمْعي حديثَ أَحِبَّتِي فيخطرُ لي أنَّ الأحبَّةَ جُلاَّسِي

. . ولنرجع إلى وقائع حياة ابن زُقَّاعة، حيث نراه وقد عاد إلى غَزَّة بعد أن أحاط بأطرافٍ من علوم وفنون عدة، فعظم قدره عند الناس وبلغ صيته القاهرة، وصارت له مكانة عند معاصريه، حتى إنه استقدم مراراً من غَزَّة إلى القاهرة لحضور المولد النبوي الشريف بها، تقديراً لمكانته. . وفي هذه المرات، بدأت علاقته بالحكام! يقول السخاوي:

«وطار ذكره وبَعُدَ صيته في أول دولة الظاهر برقوق. . فلما استبدَّ ابنه الناصر فرج بن برقوق، تخصص به ابن زُقَّاعة، وتحول إلى القاهرة بعد الكائنة العظمى بدمشق، وسكن مصر على شاطىء النيل، وتقدَّم عند الناصر جدّاً، حتى كان لا يخرج إلى الأسفار إلا بعد أن يأخذ له ابن زُقَّاعة الطالع، ولا يتعدى الوقت الذي عيَّنه له، فنقم عليه المؤيد، ونالته منه محنة في أوائل دولته، ثم أعرض عنه، واستمر خموله بالقاهرة حتى مات. .».

ويظهر من كلام السخاوي، أن ابن زُقَّاعة قد وقع في المحظور الذي طالما حَذَّر منه أقطاب التصوف، أعني الوقوف على أبواب السلاطين. . فها هو ينادم الفرج بن برقوق، ويسخِّر ما تعلمه في خدمة (الطالع) حتى يُرضي الحاكم، وحتى يناله سخط الحاكم الآخر، وحتى يصير مرة أخرى موضعاً لاختلاف المؤرخين. .

اختلف المؤرخون في قيمة ابن زُقَّاعة بعد صحبته للسلطان. فمن ناحية يصفه التقي المقريزي بأنه «كان مكثاراً مهذاراً يُؤثر عنه مخاريق وشعبذة» ومن ناحية أخرى يقول السخاوي: «وآخرون كانوا يعتقدون علمه وفضله، ومن